

## حول أهداف الجغرافية التاريخية واتجاهاتها الحديثة

للدكتور عبد الفتاح محمد وهيبة

قبل أن يتسنى العقد الخامس من هذا القرن أعلن ر . هارتشورن R. Hartshorne . فيلسوف الجغرافيا المعاصر — بعد شك وتردد — أن الجغرافية التاريخية قسم هام من أقسام الجغرافيا وأن جغرافية الحاضر تكسب عمقاً ومعنى بالرجوع إلى جغرافية الماضي . وقد وضع هذا الاعتراف نهاية لشك المتشككين وكان تحية لما بذله الجغرافيون التاريخيون (خاصة في أوروبا) من جهد وما قدموه من أعمال .

الحق أنه إذا كان اهتمام الجغرافيين ينصب على دراسة الأماكن — ما بها من تشابه وتباين وما يربط بين أجزائها من علائق — فإنه لا بد وأن يتساءلوا عن كيف أصبحت هذه الأماكن على ما هي عليه الآن ، وكيف كانت حياتها في الماضي . وسوف تكون الإجابة إذا ما أحسن تقديمها مدخلا إلى جغرافية الحاضر وعرضاً لجغرافية الماضي (أو الجغرافية التاريخية) . بيد أن أن لجغرافية الماضي هذه هدفاً ليس أقل قيمة وأهمية . ذلك هو تفسير مواقع الأشياء من سطح الأرض . لا جدال في أنه قد لا تتطلب طبيعة الظاهرة أو العلم (توطن صناعة ، توزيع محاصيل ، اتجاهات خطوط النقل والتجارة) ونوع الموضوع أكثر من الرجوع إلى مجموعة الظروف الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية الحاضرة . ولكن كثيراً من المعالم الجغرافية تقتضي منا الرجوع إلى الماضي لئلا نرى كيف نشأت وتطورت حتى أخذت شكلها وتوزيعها الحاليين . ومن أسف أن الجغرافية التاريخية لا تلقى من كثير من طلبة الجامعات والدراسات العليا تقديراً كبيراً . وربما كان مرجع ذلك إلى تلك التعميمات والاستنتاجات السطحية التي أعطت لمعاصر البيئة الطبيعية وزناً عظيماً لا تستحقه عند تفسير الظواهرات

الجغرافية المختلفة . ولا نعى الجغرافيين التاريخيين أنفسهم من التورم فقد أختقوا على ما يبدو فى جعل ما هو موجود فى الكتابات التاريخية فى متناول الجغرافى الحديث .

### الأهداف

مازال الجغرافيون على خلاف حول ماهية الجغرافية التاريخية وتختلف تفسيراتهم لها بقدر ما تتباين طبيعة محوهم وتبعاً لفهمهم لمعنى الجغرافية . ولكن يمكننا أن نجمل تعاريف هذا الفرع فى ستة أو سبعة : ثلاثة منها قديمة سلفية لم يبق لها غير قيمتها التاريخية .

فهت الجغرافية التاريخية يوماً على أنها مرادف لتاريخ الجغرافيا كعلم ولكن هذا المفهوم أصبح فى الوقت الحاضر غير مقبول على الرغم من دعوة سور C. Sauer (1941) إلى اعتبار البحث فى تاريخ الجغرافيا هدفاً من أهداف جغرافية الماضى . (1) ولا يقلل ذلك من قيمة تاريخ الجغرافيا فهو دعامة أساسية من دعائم انفكر الجغرافى . وليس هناك — كما يؤكد هـ . كلارك H. Clark تاريخ بهم الجغرافى التاريخى أو أى جغرافى آخر أكثر من تاريخ الجغرافية نفسها (2) . ولقد حاول ج رايت J. Wright فى مقالاته وكتبه التى نشرت فى الفترة بين 1925 — 1952 أن يجذب اهتمام الجغرافيين إلى تفهم تاريخ العلم والاستزادة منه . ولكن دعوته لم تجد قبولاً كافياً (3) .

وفى القرن التاسع عشر كانت الجغرافية التاريخية تعرف بأنها «العلم الذى يدرس تاريخ الكشوف الجغرافية والخرائط» (بيكر Baker 1936 ،

(1) Sauer, C. "Fore word to Historical Geography" Ann. Assn. Amer. Geog. 31 (1941) p. 5.

(2) Clark, H. "Historical Geography" American Geog. Ed. P. James & F. Jones. Syracuse, PP 70 — 105.

(3) Wright, J. "The History of Geography: A Point of view" Ann. Assn. Amer Geog. 15 (1925) pp. 192 — 201.

جلبرت Gilbert (1932) (1) فسميت دراسة جونستون K. Johnston لتطور المعرفة بسطح الأرض (1872) مثلاً «دراسة أولية في الجغرافية التاريخية A Sketch of Historical Geog. 1872». ولا يزال هذا المعنى قائماً في الأدب الجغرافي على القارة الأوروبية حتى اليوم. وكان طبعاً أن يكون ذلك هو هدف الجغرافية التاريخية ما بقيت الجغرافيا علماً بهم في الأساس الأول بوصف وتسمية المظاهر الجغرافية بالإضافة إلى اهتمامه بالملح الكرتوجرافي والكشف الجغرافي. يشبه ذلك أيضاً مفهوم آخر يرى أن هدف الجغرافية التاريخية هو تتبع التغيرات في الحدود السياسية وما يتصل بذلك من أسماء للمعارك والغزوات التي أدت إلى كسب إقليم أو فقدانه.

هذا المعنى كان في الحقيقة انعكاساً لتطور في علم التاريخ انصب على دراسة حقائق التاريخ السياسي والقوى. وبدو هذا النوع من الجغرافية التاريخية واضحاً مثلاً في كتاب فريمان (E. Freeman) Historical Geog. of Europe, 1881 وفي كتاب ليريو A. Mirot (1929) تحت عنوان Geographie Historique de la France كذلك تمثل هذا المعنى في كتابات المدرسة الألمانية وتخص بالذكر مؤلف كرتشمير K. Kretschmer عن وسط أوروبا (1904). غير أنه من الأنصاف أن نشير إلى أن مفهوم كل من فريمان وكرتشمير للجغرافية التاريخية كان أوسع وأعمق مما جاء في مؤلفيهما السابقين، فكرتشمير بالذات كان يرى أن من أهداف هذه الجغرافيا إعادة بناء الجغرافيات البشرية والإقليمية الماضية.

أما عن الأهداف الأخرى الثابتة لجغرافية الماضي فلا يمكن رفضها بسهولة كما رفضنا السابقة ويمكن إجمالها فيما يلي :

(1) Baker, J., "The Last Hundred Years of Historical Geography" History, N.S. 129 (1936) pp. 193 -- 207.

Gilbert, E., "What is Historical Geography?"  
Scott. Geog. Mag., 48, 1932, p.p. 129-136

١ - دراسة المظهر الخارجى المتغير لبيئة .

The Changing Landscape.

٢ - إعادة بناء جغرافيات الماضى .

Reconstruction of Past Geographies.

٣ - دراسة التغير الجغرافى خلال الزمن .

Geographical Change Through Time.

٤ - توضيح أثر الجغرافية فى التاريخ .

The Geographical Factor in History.

وقبل أن ندخل فى مناقشة هذه الأهداف أو التعاريف ينبغى أن نضع فى اعتبارنا ما يلى من ملاحظات :

(أولاً) أنه يقلل من قيمة كل هذه التعاريف أو المفاهيم صعوبة إطلاق صيغة واحدة على عدة وجهات نظر (لكل وجهاتها) وحمل كل تعريف لبعض معنى الآخر . وإذا كان من الصعوبة بمكان أن نصنف كثيراً من الدراسات فى ضوء مفهوم واحد فإنه لمن المفيد تحديد المفاهيم بالشكل السابق لأن ذلك يعدنا عن خطر الوقوع فى خلاف مصطنع نشأ بين وجهات نظر ليس لها أساس من الواقع .

(ثانياً) من الواضح أن كل مفهوم من المفاهيم السابقة هو فى حد ذاته انعكاس لتعريفنا للجغرافيا بعامة . فكل تعريف يبدو وكأنه يرتبط بالجغرافية ككل ارتباطاً منطقياً لا يخلو من انحجام ولكنه فى نفس الوقت نادراً ما يير فى خط واحد مع تطور المعرفة الانسانية بكل شعباته وعنونه . فالقيام بأبحاث لا تقع فى صلب الجغرافيا ولكن على حواشها قد توثق ثمارها ولكنها فى الأغلب لن تكون جغرافية وإنما هى تابعة للعلم أو العلوم التى استمدت هذه الأبحاث منها مدتها . لنقل أن اهتمام المؤرخين أو الجغرافيين بموضوع من الموضوعات قد يتوقف على محض الصدفة أو قد يرجع إلى نوع الفهم السائد لطبيعة كل من الجغرافية والتاريخ بن ربما يشترك الجغرافى مع المؤرخ فى موضوع ما لأنه وليد الجغرافيا والتاريخ معاً .

١ - المظهر الخارجى المتغير (١) ؛ "The Changing "Landscape" لا جدال في أن فهم الجغرافيا على أنها دراسة للمظهر الخارجى للبيئة - وبالتالى اعتبار الجغرافية التاريخية دراسة للمظاهر الخارجية المتغيرة خلال الزمن - قد أسفر عن أعمال مثمرة وأفكار جديدة طيبة على الرغم من النقص المهجبة. وليس هنا مجال التنقيب عن نشأة هذا المفهوم في مباحث وفلسفات الـ Landschaft الألمانية أو الـ Paysage الفرنسية . ولا نحن بصدد عرض للمناقشات الحادة حول مسائل الملاحظة وما يعنيه اللجوء إلى مدخل سهل يقضى على الثنائية في الجغرافية . فالجغرافية التاريخية كدراسة لتغير المظهر الخارجى للبيئة هي كما أوضحنا امتداد منطقي لهذا المفهوم عرف وطبق قبل سنة ١٩١٤ في كتاب ج. برون J. Brunhes (٢) ثم تطور في فترة ما بين الحربين العالميتين ويظهر ذلك في الجزء الأول من كتاب هانوتو C. Hanotaux «تاريخ الأمة المصرية» ١٩٣١ ، الذى يمثل مدخلا عاماً للجغرافيا التاريخية لمصر (٣) . وبمرور السنين كسب هذا المفهوم مؤيدين جدداً قاموا بتفسيحه وتوضيحه . ولقد أعطى داربى H. Darby لهذا المعنى عمقاً وأصالة ووضع له منهجاً واضحاً ويتمثل ذلك في مباحثه المحلية الخاصة بأثر قطع الغابات ومجفيف المستنقعات واستصلاح الأراضي البور وقيام المدن والصناعة في تطور المظهر الخارجى (٤) .

(١) من أمثلة تلك الأبحاث مايجريه الجغرافيون والمؤرخون حول موضوعات مثل النظم المحلية وتاريخ المظاهر الخارجية نرىف .. الخ .

(٢) Brunhes, J. La Géographie Humaine, Paris 1910 (٢)

(٣) Hanotaux, G. Histoire de la Nation Egyptienne, T. I Paris 1931. (٣)

(٤) يبدو من استعراض أبحاث داربى ومؤلفاته أنه لم يلتزم خلال حياته العلمية بمفهوم واحد ولا منهج معين فقد فهم الجغرافية التاريخية يوماً على أنها إعادة بناء جغرافيات الماضى وفي نفس الوقت قام بأبحاث محلية تكشف عن أهميته بتصوير التطورات التى حدثت لبعض عناصر المظهر الخارجى - راجع له :

An Historical Geography of England before 1800, 1936

The Medieval Fensland, 1940.

"The Changing English Landscape" Geog. J. 117 (1951).

ولعل أهم ما يتميز به هذا المذهب هو وضوح الحقائق الجغرافية مما يحسم الخلاف والخلط بينها وبين التاريخ الاقتصادي وهو أمر كان في الماضي مثاراً للشكوى . ويتميز أيضاً بالضغط على أهمية معالم المظهر الخارجى بل هي عنده الحقائق الأساسية بالنسبة للجغرافيا . بيد أن ثمن هذا الوضوح واكتمال الوحدة الجغرافية في المظهر الخارجى كان إلى حد ما على حساب الإنسان كمحور أساسى في الدراسة الجغرافية . فقد اتضح شأنه ليصبح مجرد عامل غير مرئى يؤدى وجوده إلى ظهور معالم جديدة في المظهر الحضارى للبيئة. مثله في ذلك مثل العوامل الطبيعية التي تؤدى إلى زحف التربة أو تكون الكيبان الرملية . دور الإنسان بالتأكيد أخطر من ذلك فهو ليس عاملاً جيمورفولوجياً خلاقاً فقط بل هو في حد ذاته عنصر هام من عناصر البيئة ان لم يكن أهمها جميعاً .

وإذا ما تركنا موقف هذا المذهب من الإنسان جانباً ، فإننا سنلاحظ أن هناك نوعاً من التشابه في الغرض والهدف بل في الأسلوب بينه وبين الجيمورفولوجيا الأصولية ( التطورية ) Genetic Geomorphology فكلاهما يبحث في تطور معالم البيئة وكلاهما يهدف كما يقول داربي (١٩٥٣) إلى وضع قواعد للجغرافيا - مجرد قواعد مثبته ترتكز عليها في النهاية معارف أفضل (١). هذا التشابه ربما يدعو الباحثين إلى إمعان النظر في مشاكل التبدل والمهج . فالجيمورفولوجيا الأصولية تسمى في البدء لفهم معالم المظهر الخارجى Landscape عن طريق ترتيبها بالنسبة لأسلوب وتوقيت ظهورها ونماؤها . فعليها رسم صورة دقيقة للأحوال الماضية التي ساعدت على ظهور أشكال السطح وذلك في ضوء ما عرف الآن عن العمليات التي تساعد على ظهور هذا الأشكال .

أما نوع الرواسب وتركيب الصخور بالنسبة للجيمورفولوجيا الأصولية مثلها في ذلك مثل الوثائق بالنسبة للجغرافية التاريخية - فمناصر تنقى ضوءاً

(1) Darby, H. "On the Relations of Geography & History, Trans: Inst Brit Geog., Pub. No. 19, 1 - 13.

من الخارج على أشكال السطح . ومن الواضح أن الجغرافية التاريخية بمفهومها الذي ناقشه يمكن أن تحرز تقدماً وتعيد تصوير المظاهر الخارجية للبيئات الماضية من دراسة وتحليل طريقة ظهور المعلم واتخاذ مكانه من سطح الأرض وشكله الخارجى ثم تاريخه - أسلوب الجيومورفولوجيا التطورية عينة (١) .

وليس من شك في أن التركيز على دراسة هذه المعلم وتفسيرها قد أسهم في انراء الفكر الجغرافى وفتح مجالات جديدة للتطبيق المنهجى خاصة فيما يتصل بأشكال المدن وانماط السكن الريفى وأشكاله . بقيت نقطتان في هذا الموضوع . الأولى : أنه أحياناً ما يبدو أن اهتماماً أكثر مما يتوقع بوجه إلى عناصر المظهر الخارجى تكون في حد ذاتها أما قليلة الشأن أو أن أهميتها ثانوية بالنسبة للجغرافيا . فأشكال سطوح المساكن وأنواع المساكن هى على سبيل المثال قليلة الشأن في ذاتها ومع ذلك يوجه إليها ضوء قوى . والعناصر الجمالية في البيئة الريفية أو المدنية (تنسيق الخضرة تنظيم الشوارع بشكل اشعاعى ونخطة الباروك) والأشكال المعمارية والزخرفية في المدن) هى من ناحية ثانية ذات أهمية ثانوية بالنسبة لنا نحن الجغرافيين فضلاً عن أن استقصاء أصولها قد يندى بنا إلى متاهات التاريخ الاجتماعى وتاريخ الفنون . والثانية هى أنه عند محاولة تصوير مرحلة من مراحل تطور المظهر الخارجى لا يكفى سرد الحقائق التاريخية والأثرية وترتيبها وفق مقياس زمنى . وإنما يجب أن نستلهم من الواقع المعاصر الشيء الكثير عما كانت عليه الأحوال في ذلك الزمان وذلك بالتحليل والمقارنة . بهذه الطريقة - وهى صعبة مضمينة - نستطيع أن نبني جسراً قوياً بين الماضى والحاضر ولا نخشى الزلل .

## ٢ - إعادة بناء جغرافيات الماضى

### The Reconstruction of Past Geographies.

لعل أكثر مفاهيم الجغرافيا التاريخية شيوعاً هو الذى يفيد بأنها العلم

(١) لم يكن أتباع هذا المنهج بذلك بل استعاروا - ربما أرضاء لغورهم - المصطلحات الجيومورفولوجية . فاستعاروا كلمات مثل التركيب structure والدورة stage والمالية process والمرحلة cycle .

الذى يسعى لإعادة بناء جغرافيات الماضى . ولا نقصد بجغرافيات الماضى الدراسات الإقليمية فقط بل كل فروع الجغرافية الحديثة من طبيعية وبشرية يتضح ذلك مثلا من قراءة كتاب :

“The Historical Geography of England before 1800”

الذى نشر سنة ١٩٣٦ تحت إشراف داربى (١) H. Darby وكتاب د . براون Mirror for Americans, 1943 الذى يرسم فيه صورة دقيقة لجغرافية الساحل الشرقى عام ١٨١١ لشاهد عيان وهى عاش فى تلك السنة واعتمد على المصادر المعاصرة . ويمكن أن نضم إلى هذين العملين كتاباً ثالثاً سماه صاحبه Geobistory ذلك هو كتاب ف . براندل F. Brandel الذى يعالج جغرافية عالم البحر المتوسط قى النصف الثانى من القرن ١٦ . هذه بعض الأمثلة الرائدة لمؤلفات نهجت الجغرافية التاريخية هذا الفهم . والحق أن هذا التعريف قديم عرفته المدرسة الألمانية بشكل أو بآخر منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر ( فيمر ١٨٨٥ J. Wimmer ) ثم تبناه ماكندر ( ١٨٦١ - ١٩٤٧ ) H. Makinder مؤسس المدرسة الجغرافية الحديثة فى بريطانيا . ومن كلماته المأثورة فى هذا الشأن « الجغرافية التاريخية هى دراسة الحاضر التاريخى Historical Present . على الجغرافى أن يحاول أن يضع نفسه فى الحاضر الذى كان . ليكن لدى ألف أو ألفى عام . عليه أن يحاول إعادة بناء ذلك الحاضر » . وقد تمسك جلبرت Gilbert بأراء أستاذه ماكندر فكتب يقول سنة ١٩٣٢ « ان مهمة الجغرافية التاريخية هى اعطاء صورة للجغرافية الإقليمية الماضية » (٢) . وفى الولايات المتحدة كان د . وتلزي ( ١٩٢٩ ) D. Whittlesey ور . هارثسبورن ١٩٥٩ R. Hartshorne من المقتنعين بسلامة هذا التعريف . وينصح وتلزي « بأنه من الضرورى أن تسبق أو تلتحق دراسة فترات الطمأنينة والسلام فترات التغيرات الواسعة كما لا يجب أن نهتم بديناميكية التطور وإنما بوصف وشرح

(١) يرى داربى أن أبواب هذا الكتاب يمكن أن تكتب الآن بطريقة أفضل لو أتيت الطريقة الموضوعية ولو تم الاستفادة من كل الوثائق والخرائط القديمة ونتائج العلوم القرينة .  
(٢) Gilbert, E. op. cit., pp. 129 - 136

العلائق الجغرافية المتبادلة لفترة محددة من فترات التاريخ؛ (١) . أما ر . هارتسهن فورتمند كان متشككاً في شيابه (١٩٣٩) في قدرة الجغرافيا على تصوير ماضى من ظاهرات بل كان يشك في قيمة جغرافية الماضى بالنسبة لجغرافية الحاضر . ولكنه راجع نفسه بعد ٢٠ عاماً (١٩٥٩) فأكد قدرة الجغرافيا على تصوير جغرافية الماضى وأعطى لها وزناً بين بقية أقسام الجغرافيا (٢) .

ولكن لماذا لقي هذا التعريف شيوعاً وتأييداً من كثير من الجغرافيين ؟ يفسر ذلك بما اكتشفه الجغرافيون من قيمة عند إعادة بناء جغرافيات الماضى . فبرسم قطاعات جغرافية متتالية لمنطقة ما خلال الزمن يخلق ما يمكن أن يسمى جغرافيا مقارنة يتضح فيها كيف استغل الإنسان عناصر ثابتة (نسبياً) كالموقع والتربة والمناخ وهو ما زال في مستويات تكنيكية متفاوتة وفي ظل أوضاع اجتماعية وسكانية متغيرة . وهكذا تظهر العلاقة بين الإنسان والبيئة باجلى معانيها . قيمة أخرى ، هي أن إعادة بناء جغرافيات الماضى ضرورى إذا ما أريد فهم العلاقة بين الماضى والحاضر فهما تماماً . ذلك أن بعض عناصر المنظر الجغرافى التى تظهر كاستجابات لظروف مؤقتة تكون عادة إما ثابتة الشكل أو ذات آثار بعيدة في التاريخ . وفهم الحاضر يتطلب منا دراية بجغرافية الفترة التى ظهرت فيها هذه العناصر وتمت . لعل الرضوح هو أهم خصائص هذا التعريف ولكن معرفة أسباب وضوحه وتميزه يتطلب منا وقفة قصيرة . الوضوح والتميز يتوقفان على اعتبارات تتصل بطبيعة التفسير وطريقة الشرح في مجال كل من الجغرافيا والتاريخ . اعتبارات لم تكن كلها في يوم من الأيام واضحة تماماً . بشيء من الاختصار هناك اتفاق عام على أن الجغرافيا تهتم في الأساس الأول بالعلاقات المتبادلة بين الظاهرات التى تلتبسها . قال بذلك أو ما يشبهه

(١) يلاق رأى وتقضى هذا اعتراضاً مزدواً أن أبحاث الجغرافى لا يتضح أن تكون العلاقات الثابتة أو فترات عدم التغير متطابقة على يجب أن تحيط الدراسة بالثابت والتغير من الأسباب .

(٢) راجع Hartshorne, R. 1939, The Nature of Geography, Lancaster, pp. 115 - 84, Perspective on the Nature of Geography, Chicago, pp. 101 - 107.

الكتاب الألمان في القرن التاسع عشر ( فيبر ١٨٨٥ ) والكتاب الفرنسيون  
ديمانجون Demangeon ولانوا Le Lannou وماكس مور Max. Sorre  
والبريطان ( ماكندر Makinder ) وأخيراً هارتسهورن Hartsborne في  
الولايات المتحدة .

وإذا كان من خلاف بين كل هؤلاء فهو حول ما إذا كان عل الجغرافيا  
أن تهتم بالدراسات الأصولية (التطورية) أو العمليات التي أدت إلى التغير .  
ففيبر وماكندر وهارتسهورن (١٩٣٩) يرون أن كثيراً من الدراسات الأصولية  
التطورية تدخل في باب التاريخ ويجب أن تحذف من الجغرافيا ما أمكن ذلك .  
انطلاقاً من هذا المعنى فإن الجغرافية التاريخية تظهر بوضوح كسلسلة من  
الصور الزمنية رسمت بطريقة تجعلها مختلفة تماماً عن صور أخرى تاريخية  
لنفس المكان في نفس العصر . بيد أن في هذا الرأي مغالاة  
حادث به عن المنطق . إذ كيف يكون من اختصاص الجغرافيا  
أن يدرس في الوقت الحاضر كيف تعمل صناعة ما أو كيف تمهي  
مدينة ثم لا يكون من اختصاصه أن ينظر في كيف ظهرت هذه  
الصناعة أو تلك المدينة في بقعة معينة من الأرض . اعتراض منطقي آخر .  
إن الاختلاف أو التعارض بين الدراسات التجريبية من ناحية والتطورية  
من ناحية ثانية هو اختلاف مظهرى أكثر منه حقيقى . فالدراسات التطورية  
تعنى في الواقع بمعالجة أحد مركبين اثنين متباينين . فهى أما تحاول أن تصور  
ما كانت عليه العلاقات المتبادلة في فترات من الزمن (١) أو تحاول أن تدرس  
تطور الأوضاع Situations باستمرار خلال الزمن . وهذا يستدعى  
إحاطة تامة بتتابع حلقات التاريخ مما يمكن بالتنبؤ بما سيكون عليه الوضع  
في المستقبل لو استخدمنا الطريقة المنطقية Dialectical method .

---

(١) تدرس مثلا كيف توارثت أنماط مواقع الصناعة مع انقذارات الطبيعة والأحوال  
الإجتماعية والاقتصادية في فترة من فترات التاريخ .

الجغرافية الأصولية اذن تسمى لتوضيح بلى وتحريك الصور الزمنية وذلك بتحديد التغيرات المتدخلة خلال الفترات التاريخية وضوابط هذه التغيرات اجماعية كانت أم اقتصادية . كيف اذن نسمح بأن يحمل الجانب التطوري من الجغرافيا التاريخية وهذه قيمته وهذا هدفه . يبدو أن هذه النتيجة أصبحت موضع اعتبار جمهرة الجغرافة بما فيهم هارتشهورن نفسه (١٩٥٩) .

### ٣ - التغير الجغرافي خلال الزمن

#### Geographical Change Through Time

لا جدال في أنه في كثير من الحالات يقف الجغرافي التاريخي موقفاً ربما لا يختلف كثيراً عن موقف المؤرخ وذلك عندما يركز اهتمامه على دراسة التغيرات التي حدثت لعنصر أو لعقد من العناصر المتغيرة بهدف تقويم الدور الذي لعبه العنصر (أو مجموعة العناصر) على أساس أن موضوع الجغرافي هو المكان والمؤرخ المجتمع . ويلقى كلارك A. Clark (١٩٦٠) الضوء على هذه النقطة حين يدعو إلى الاهتمام بوصف العمليات Processes التي أدت إلى تغير عناصر معينة في البيئة خلال الزمن يعتقد أنها هي التي أعطت لها ملامحها المميزة .

الحق أن الحديث عن تعريف الجغرافية التاريخية بأنها دراسة لتغير الجغرافيا خلال الزمن حديث طويل يمكن أن يرجع إليه القاريء في بحث لكلارك نشرته جمعية الجغرافيين الأمريكيين ضمن مجموعة أبحاث تحت اسم : American Geography - Inventory & Prospect, 1954 (١). ولكن يهنا أن نشير إلى أن ما دعى إليه كلارك هو ما سبق أن سار عليه بعض الجغرافيين التاريخيين في دراساتهم الخاصة بالسكن وتغير مواقع الصناعات ونمو المدن إلى غير ذلك من الموضوعات . ومهما يكن من أمر هذا التعريف فانه يميزه قلة العثرات المنهجية ومرونته وعدم صرامته . ولكن يعيبه أنه يقدم

(1) Clark, A., "Historical Geography" chap; 3 -- American Geography - (Ed) James, p. & c. Jones, Syracuse, 1954.

حلولاً جزئية ويوسع مجال الدراسة دون طائل . فليس يكفي أن نضغط على دراسة التغير ذاته إذ على الرغم مما تكشف عنه دراسة الظروف المتغيرة من وضوح في الرؤية بالنسبة لقيمة ووظيفة الموقع أو مصدر الثروة (١) فإنه يجب أن يسبق الحديث عن هذه التغيرات عرض للظروف المؤثرة (٢) ولا يزال كيف أن الأشياء التي تهتم الجغرافيين في الأمكنة والأزمنة مترابطة .

#### ٤ - أثر الجغرافيا في التاريخ

##### The Geographical Factor in History

في السبعينات من القرن التاسع عشر كتب فيمر Wimmer يقول أن أهم أغراض الجغرافيا التاريخية غرضان :

١ - أثر العامل الجغرافي في توجيه التاريخ .

٢ - جغرافية التغيرات التاريخية السابقة .

والغرض الأول هو الذي نحن بصدد دراسته وتحليله الآن . أغلب الكتابات التي تعالج أثر الجغرافيا في التاريخ ، وهي كثيرة تستخدم صفة «جغرافي» استخداماً عاماً غير سليم يجعل الدراسة لا تختلف كثيراً عن تلك التي ترمى إلى إعادة بناء جغرافية الماضي كقائمة لفهم أحداث التاريخ . ومن الذين نجحوا في توضيح أثر الجغرافيا في التاريخ وتلزمى D. Whittlesey في 'Sequent Occupance, 1929' وكذلك إيست 'Historical G. East' 'Geography of Europe' 1935 فقد فهما أثر الجغرافيا في التاريخ حتى الفهم وأعطياه حقه من الأهمية . ولكن الأمر ليس بهذه البساطة فكثيراً ما يفسر العامل الجغرافي على أنه عامل طبيعي . هنا تتحول دراسة أثر الجغرافيا في التاريخ إلى دراسة حتمية مفضة تتبع السبب بالنتيجة وتعني بتوضيح أثر

(١) مثال ذلك الاستخدامات المتتابعة لوسائل النقل البحرية والنهرية والجوية في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية .

(٢) كأن يسبق دراسة تنابع وسائل النقل المختلفة في الولايات المتحدة عرض لتجارة أمريكا الشاذية في القرن السابع عشر .

العامل الجغرافي في نشاط الإنسان في الماضي وأثره في التاريخ وفي تتابع الأحداث التاريخية .

ولقد سار ليف من الجغرافيين والمؤرخين على هذا النهج ولكن من ناحيتين مختلفتين . ففي الربع الأخير من القرن التاسع عشر كان نمو الدراسات المتصلة بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي أبلغ الأثر في دفع المؤرخين إلى الاهتمام بالحياة اليومية للمجتمعات الغابرة . ومن ثم كان انشغالهم بتلك الأنشطة والمعالم التي يهتم بها الجغرافيون كالزراعة والصناعة والتجارة والسكن وطرق المواصلات . بل إن اهتمامهم اتسع لينتظم بعض حقائق الجغرافيا الطبيعية التي ترتبط ببعض الرباط بتلك الأنشطة والمعالم . ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في كتاب سميث "Historical Geog. of the Holy Land, 1894" C. Smith فقد حاول المؤلف أن يكشف عما تقدمه الجغرافيا من تفسيرات لبعض ما جاء في التوراة بل وأثر البيئة على الفكر الديني . كذلك أوضح جورج H. B. George في بحثه في العلاقات بين التاريخ والجغرافيا (1901) Relations between History and Geography أن الجغرافيا تقدم معلومات قيمة لحل المشاكل التاريخية . ومن الواضح أنه طالما ظلت الجغرافيا تفهم على أنها أساساً علم العلاقات المتبادلة بين الإنسان والبيئة فإن ليفاً من الجغرافيين كان في استطاعته أن يكتشف بسهولة استجابات من الإنسان للبيئة الطبيعية في سجلات التاريخ بل وفي كتابات الحاضر . وكان ذلك بمثابة خطوة نحو وضع ما زعم أنه قوانين جغرافية . ينطبق ذلك على الخصوص على كتابات مس سميل (1) E. Semple . فالختمية الجغرافية فيها صارمة والمتقطعات التاريخية بها كثرة . ومن ناحية أخرى فإن دعاء الإمكانية اعتمدوا على التاريخ كصدر يمكن الرجوع إليه لجمع المعلومات اللازمة وذلك بالنظر في طرائق استخدام المجتمعات البشرية لبيئاتها عبر الزمن واحتمالات استثمار هذه البيئات .

(1) Semple, E. American History and its Geographic conditions Boston, 1933

The Geog. of the Mediterranean Region : its Relation to ancient history 1931

(2) عبد الفتاح وعيه - الجغرافيا البشرية - تطورها ومنهجها بيروت 1966 ص 19

ولم يكن ذلك غير مقدمة للدراسة نفس المكان في فترات مختلفة من التاريخ وقد انصب الاهتمام في هذه الدراسة على مدى استخدام الموقع والثروات تحت ظروف اجتماعية واقتصادية وتكنية متباينة أشد التباين . شبه بذلك تلك المباحث القيمة التي قام بها ليف من جغرافي المدرسة الاقليمية الفرنسية . ولكن ما أن تبلغ دراسة أثر الجغرافيا في التاريخ هذا المستوى من التصير والشرح (خاصة بالنسبة للاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية) حتى يتلاشى الفرق بينها وبين تلك التي تنظر إلى الجغرافية التاريخية على أنها «إعادة بناء جغرافيات الماضي» .

ومهما يكن من أمر فقد تعرض مفهوم الجغرافية التاريخية بالمعنى السابق لاعتراضين سابقهما ر . هارتسهورن عام ١٩٣٩ . الأول وهو منطقي ، أن شرح أثر العامل الجغرافي في توجيه التاريخ هو عمل المؤرخ قبل الجغرافي ذلك لأن المؤرخ ربما يكون أكثر استعداداً وأفضل تأهيلاً لتحديد قيمة العامل الجغرافي بالنسبة لبقية العوامل (١) . الاعتراض الثاني وهو سليم إلى حد كبير ، إن جغرافية الماضي بهذا المعنى تسعى لتفسير التاريخ وليس الجغرافيا . وأخيراً ربما نتفق أيضاً مع سور C. Sauer (١٩٤١) على أن هذا النوع من الجغرافيا التاريخية لن يكون أكثر من دمج عمل المؤرخ بطابع جغرافي حتى هو في غنى عنه (٢) .

والآن ما هي النتائج التي يمكن أن نستخلصها من تحليلنا السابق لمختلف مفاهيم الجغرافية التاريخية ؟ لعل أهم هذه النتائج هو أنه لا يوجد في الأفق وربما لن يوجد حل «مذهبي» لمشاكل الجغرافيين التاريخيين . كما أنه لا توجد صيغة تحسم بين ما ينسب إلى الجغرافيا وما ينسب إلى التاريخ . لتكن المشاكل غير هينة والخلود بين التاريخ والجغرافيا مانعة ولكن الذي له وزن وأهمية هو مدى إسهام الجغرافيين أنفسهم في إثراء المعرفة الإنسانية شريطة أن يكون

(١) هذا الرأي هو وليد اقتناع هارتسهورن بأن غرض الجغرافي هو دراسة العلاقات المعقدة المركبة وليس بذل الجهد في البحث عن الأسباب . راجع

Sauer, C., Foreword to Historical Geography, Ann. Assn. Amer — (٢)

Geog., 31: 1941, pp. 1 — 20

اهتمامهم منصباً على الأماكن وما كانت عليه وليس على الناس وما كان بينهم من علاقات . ثانياً - كل تعريف من التعاريف السابقة ساد في فترة ما وكان في الحقيقة انعكاساً لنظرة الأغلبية فيما يختص بطبيعة الجغرافية بل وبما هيبة الشرح والتعليل . ثالثاً - كل تعريف أسهم في تطور الجغرافية أو التاريخ أو هما معاً .

هذه مرحلة . مرحلة أخرى في حياة الجغرافية التاريخية بدأت مؤخراً بظهور اتجاه إلى عدم التقيّد بمفاهيم محددة فيما يتصل بطبيعتها ومحتواها أملاً في فتح الطريق أمام دراسات غير متزمنة ولا ملتزمة بمنهج معين في التنظيم والعرض (١) . وإن دل هذا الاتجاه على شيء ففعل مبلغ ما منح الجغرافية التاريخية من رغبة في التخلص من مناهج صارت بائدة . ويقترح داربي صاحب مذهب اللاملتزمة طريقتين لمعالجة مختلف الموضوعات لكل مميزاتها واستخداماتها الأولى وهي الطريقة الرأسية *The Vertical Treatment* (أو الموضوعية *Topical*) وتعني بتتبع مدى التغير الذي لحق العناصر الجغرافية (سكن ، زراعة ، طرق .. الخ) على مر الزمن . هذه الطريقة وإن كانت لا تظهر وحدة البيئة بجلاء إلا أنها تعرض عناصرها وكذلك النشاط البشري بغير تكرار وبكثير من العمق (٢) . أما الطريقة الأخرى للمعالجة فهي الطريقة الأفقية *The Horizontal Treatment* وهذه تقسم الزمن إلى عصور وتعالج جغرافية كل فترة على حدة (٣) . هذه الطريقة وإن كانت تحاول أن تصور الجغرافية كوحدة إلا أنها تعجز عن تضيير كل عناصر البيئة كما أنها لا تحلّ من التكرار . ومهما يكن من شيء فإن طبيعة الموضوع هي في رأي داربي التي تحدّد أي الطريقتين أفضل وأمثل (٤) .

Darby, H. „The Problem of Geographical Description” trans. Inst; (١)  
Brit. Geog. Pub, Nk. 30, 1 — 13

(٢) راجع المقدمة في كتابي دراسات في جغرافية مصر التاريخية الإسكندرية ١٩٦٢ .

Darby, H. (1953) op., cit., p. 11

(٣)

## الاتجاهات الحديثة

إن من ينظر في أدبيات الجغرافية التاريخية خلال العقود الأخيرة سيجد فيها كل تلك الأفكار السابقة ماثلة . فالكشف عن العلاقة بين الإنسان والبيئة كان منذ القرن التاسع عشر ولازال مطلباً أثيراً لدى الجغرافيين وشجع بالتأكيد على الاهتمام بدراسة الشعوب البدائية ومواطنها حيث يظهر مدى التكيف مع الطبيعة أوضح منه بين مجتمعات غرب أوروبا الصناعية . كذلك كان البحث في جغرافية « ما قبل التاريخ » مجالاً لظهور أثر الموقع والتضاريس والتربة والتصريف النهري وموارد المياه على أعمال الإنسان . لكن حدث في السنين الأخيرة تحول عن جغرافية ما قبل التاريخ التي عرفها رجيل من الجغرافيين البريطان مثل فلورنسا Ford وداريل فورد Daryll Ford وولدرج Wooldridge ربما لأن مؤرخي ما قبل التاريخ تعلموا دروساً في الجغرافية الحديثة .

وكما سبق أن أشرنا ظل مفهوم الجغرافية التاريخية كدراسة لجغرافية الماضي هو الشائع لمدة طويلة وسوف يظل كذلك لمدة أطول. ذلك لأن نتائج الجغرافية التاريخية وفق هذا المعنى تسد فجوة بين معطيات كل من التاريخ المحل المحدود والتاريخ الاقتصادي العام . فضلاً عن أن الدراسة ذاتها تركز على الاختلافات الإقليمية وتهم عادة بتوضيح قيمة التباين الأرضي الذي يفضله التاريخ الاقتصادي . وفي إطار هذا المفهوم ظهرت دراسات قيمة نذكر منها ما سبق أن أشرنا إليه وهو الكتاب الذي يعالج جغرافية إنجلترا قبل ١٨٠٠ م وقام بالإشراف على أعداده داربي في شبابه . وبالرغم من الجهود التي بذلها الجغرافيون التاريخيون البريطانيون لرسم صور زمنية دقيقة لجزيرتهم معتمدين على ما حفظه التاريخ من سجلات احصائية وخرائط وكتابات خلفها الرحالة وأوصاف طبوغرافية تركها العلماء وموظفو الدولة ، فلا زال هناك منيع لكثير من الدراسات المفيدة خاصة فيما يتصل بالسكان واستثمار الأرض . ولاشك أن هذه المباحث ستوقى ثمارها لو أفادت من السجلات الاحصائية (بعد تحقيقها) أكمل فائدة . فن

الإحصائيات والأرقام القديمة تستمد الخرائط وما تكشف عنه من توزيعات وظاهرات قيسها وعلى هدى هذه الخرائط يمكن البحث في وضع تقسيم إقليمي يحل محل التقسيم الإداري الحالي يتفق مع الأوضاع القديمة ويكون إطاراً لتوقع مختلف التوزيعات الماضية .

أما الدراسات التي تهتم بالبحث في تطور ملامح المظهر الخارجي وتلك التي تعالج التغير الجغرافي خلال الزمن فقد فتحت الباب أمام دراسات «موضوعية» تتعلق بتطور الزراعة والسكن والتجارة والصناعة . ويرجع الفضل في تقدم الأبحاث التي تعالج التغيرات في عناصر البيئة خلال الزمن إلى الرغبة في تتبع أصول الأشياء بعمق وفهم جديدين وإلى الاعتماد على أدلة أخرى غير الوثائق مثل حبوب اللقاح وبقايا النباتات والإرسابات الحديثة . ومن بين الدراسات التي استفادت من الأدلة العلمية ما أجرى في الأرض الواطنة حول تاريخ استصلاح الأرض بل وتطور استثمارها وما أجرى في ألمانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا حول قطع الغابات وتجفيف المستنقعات . فقد اقتضى البحث الاعتماد على الإرسابات الحديثة ودراسة حبوب اللقاح وبقايا النباتات . وباستثناء بعض الأبحاث (خاصة المناخية) فإن إبراز دور الإنسان في تغيير سطح الأرض (عن طريق تجفيف المستنقعات وري الأرض وقطع الغابات والزراعة) كان هدفاً أساسياً بل محورياً لكثير من المقالات والأبحاث نذكر منها كثال مجموعة الأبحاث تحت عنوان :

Man's Role in Changing the Face of the Earth-Ed-Thomas, 1955.

ولقد حطت جغرافية السكن الريفي والنظم الزراعية والحقلية خطوة واسعة بفضل الاهتمام الذي ركز على فهم وتحليل عناصر المظهر الخارجي. ونذكر أن ظهور الأعمال الرائدة في موضوعات السكن والنظم الحقلية في غرب أوروبا كان في الفترة بين أواخر القرن ١٩ وأواخر العشرينات من القرن الحالي . وبعد فترة من العقم كتب لها أن تهض وتوثق ثماراً من جديد وذلك منذ بداية الحرب العالمية الثانية . قضى فرنسا والأراضي الواطنة وألمانيا والسويد وإنجلترا أحرز تقدم كبير ليس فقط في ميبل فهم أفضل للبيئات الريفية المعاصرة

ومشاكلها وإنما نحو معرفة أعمق بالظروف التاريخية التي نمت في ظلها النظم الحقلية والأنماط السكنية . بل إنه يمكن القول أن هذه الموضوعات هي اليوم من أكثر الموضوعات الجغرافية نمواً وتقدماً يعتمد على نتائجها مؤرخو التاريخ الزراعي الأوربي (١) . وتطبق هذه الملاحظات إلى حد كبير على الدراسات المدنية . فقد شهد الجزء الأخير من القرن التاسع عشر موجة من الاهتمام بدراسة موضوعات مثل أصول المدن وماهية مؤسساتها . وكما فر الاهتمام بالدراسات السكنية الريفية قبل ١٩٣٩ فقد حدث مثل ذلك بالنسبة للدراسات المدنية ثم أعقب فترة التثوير هذه مرحلة من النشاط المتزايد وشارك الجغرافيين فيها من وجهات نظر متباينة - المؤرخون والأثريون والمهندسون والمعماريون ومخططي المدن . ويمكن القول أن كثيراً من الصفات التي رغبنا وشجعت الجغرافيين على دراسة السكن الريفي هي التي أغرت بعض المؤرخين على دراسة تاريخ المدن خاصة فيما يتصل بالهجو والوظائف الاقتصادية وتغير وظائف الأحياء .

#### ماذا عن مستقبل الجغرافية التاريخية ؟

لعل تطبيق الطرق الإحصائية كان من أهم أسباب التقدم الحديث في أسلوب البحث الجغرافي والتاريخ (خاصة الاقتصادية) . فعن طريق تحليل الأرقام الخاصة بتوزيع الثروات والسكان ومناحي التقدم والرقى اكتسبت الجغرافيا قدراً كبيراً من العمق والواقعية ومن ثم فإن استخدام الإحصاءات على مجال أوسع في موضوعات الجغرافية التاريخية سيفيد في وضع قاعدة سليمة للمقارنة بين التوزيعات المختلفة في البيئة - أية بيئة - خلال التاريخ وفي التحقق من صدق المعلومات التي نمت أدينا . ويتقدم الدراسات الخاصة بتحليل حبوب القمح وتركيب المواد العضوية وتاريخها (باستخدام الكربون ذي الوزن الذري ١٤) سوف تخطو الدراسات التاريخية المتصلة بالحياة النباتية والارسابات المختلفة مثل قطع الغابات وانجراف التربة خطوات واسعة كان لا يمكن أن تتم إذا اقتصر

(١) تقوم على نشر صفحات من هذا التاريخ اليوم مجلات حديثة نسبياً مثل .

الشواهد كما كان العهد حتى وقت قريب - على وثائق غير كاملة وما تكشف عنه أحشاء الأماكن . وفي دراسة السكن الريفي تظهر الحاجة أيضاً إلى مزيد من التعاون المنظم لكفال الاستفادة من الأدلة التي تستقي من أكثر من علم . ويبدو أن جغرافية المدن أحرزت في السنوات الأخيرة تقدماً أكبر مما أحرزته جغرافية السكن الريفي ليس هنا مجال استقصائه . ولكن ما من شك في أن طريقة معالجة موضوع الموقع وتحليل توزيع المدن على الأرض ربما أوحت للجغرافي التاريخي بأفكار تنفع في دراسة جغرافيات الماضي .

ومن الواضح أن هذه الاتجاهات الجديدة سوف تخرج بالجغرافية التاريخية عن مفاهيمها التي تعرضنا لمضاميتها العامة في الصفحات السابقة . والأمل كبير في أن تنفتح آفاق واسعة أمام الدراسات الموضوعية (الرأسية) خاصة فيما يتعلق بفهم واستيعاب العمليات التي يتم عن طريقها التغير الجغرافي خلال الزمن . وسيكون التطور السريع في استخدام طرق الاحصاء في جغرافية المدن (وعلى الخصوص فيما يتعلق بنظرية الموقع المركزي وبمجال نشاط المدينة وتوزيع الظواهر المدنية المختلفة) بمثابة دافع قوى لمزيد من التطور في الجغرافية الجغرافية التاريخية للمدن والأمل كبير في أن يسهم الجغرافي التاريخي في حوسب مشاكل التخلف وأسباب التقدم والتنبؤ بما سيكون عليه الغد . وإذا ما تحقق ذلك سيكون عند الجغرافي التاريخي ما يقدمه لحسن فهم التاريخ وعنده ما يعزّز به لحسن فهم جغرافية الحاضر . ثم هو بعد ذلك كله لن يكون في عرف داربي قد أحرز نجاحاً يذكر لأن النجاح في كتابة الجغرافية التاريخية غير وارد "There is no such thing as success" وإنما الوارد والمأمول هو درجات من عدم النجاح "degrees of unsuccess" .

وفي الختام قد نسأل ما هو مركز الجغرافية التاريخية بين مواد أقسام الجغرافيا في الجمهورية العربية المتحدة ؟ كانت الجغرافية التاريخية أو بمعنى أدق «جغرافية ما قبل التاريخ» من الموضوعات الأساسية في برامج هذه

Darby, H., "An Historical Geography of England; Twenty Years After". (1)  
R. Geog. J. vol. CXXVI, Part 2 June 1960 pp. 147 — 159.

## المراجع

- Baker, J., "The Last Hundred Years of Historical Geography" *History*, New series, 1936, 21, 193 — 207.
- Bowen, E. Walter, *A Study in Geography and History*, Cardiff, 1941.
- Brown, R., *Mirror for Americans : Likeness of the Eastern seaboard, 1810*, N. 1943.  
 —————' *Historical Geography of the United States*, N. Y.: 1948.
- Clark, A. H. *Historical Geography, American Geography*, Ed, P. James & F. Jones, Syracuse, 1954, pp 70 — 105
- Garnish, V. *The Great capitals, An historical Geog.*, London 1923
- Darby, H. C. (ed) *An Historical Geog. of England before A.D. 1800* Cambridge, 1936.  
 —————' *The Medieval Fenland*, Cambridge, 1940.  
 —————' *The Draining of the Fens*, Cambridge, 1940  
 —————, "The Changing English Landscape", *Geog. J.*, (1951) 117, (1951), pp 377 — 398.  
 —————, "On the Relations of Geog. and History" *Trans. Inst. Brit. Geog. Soc* pub. No. 19 (1953) 1 — 13.  
 —————, "Historical Geog. twenty years after", *Geog. J.*, 126 — (1960) pp 147 — 159.  
 —————, "The Problem of Geographical Description", *Trans; Inst. Brit. Geog. pub — No. 30 (1962), PP 1 — 13.*
- Dickson, B. & Howarth, O. *The Making of Geography*, Oxford, 1933.
- East, W. *Historical Geography of Europe*, London, 1950
- Forde, C. D. *Habitat, Economy and Society*, London 1952
- Freeman, E. *Historical Geography of Europe*, N.Y., 1881.
- Freeman, R. W. a. *Hundred Years of Geography*, London, 1961
- Gilbert, E. "What is Historical Geography." *Scott. Geog. Mag.* 48, 1932.
- Hamdan, G. "Evolution of Irrigation Agriculture in Egypt" *Hist. of Land use in Arid Regions*. Unesco, 1951.
- Hautaux, G. *Historic de la Nation Egyptienne*, T.I, Paris 1931.
- Hartshorne, R. *The Nature of Geography*, Lancaster, Pa., 1939  
*Perspective on the Nature of Geography*, Chicago, 1959.

- Houston, J. *A Social Geography of Europe*, London; 1953.
- Huzayyin, S. A. *The Place of Egypt in Prehistory*, Cairo, 1941.
- , *Arabia and the Far East*, Cairo, 1942.
- Le Lannou, M. *La Géographie Humaine*, Paris; 1941.
- Makinder, H. *Britain and the British Seas*, N.Y. 1902.
- Mirot, A. *Manuel de la Géographie Historique de la France*, 2 vols; Paris, 1929.
- Mitchell, J. *Historical Geography*, London, 1954.
- Peake, H., and Fleure, H. *The Corridors of time*, 9 vols London, 1927 — 1936.
- Sauer, C., „Foreword to Historical Geography; Ann. Assn. Amer. Geog, 31 — 1941) pp I — 20.
- , *Agricultural Origins and Dispersals*, Bowman Mem. Lects. ser; 2, Amer. Geog. Soc. N.Y. 1952.
- Sepmle, E. M. *The Geography of the Mediterranean Region*. N.Y. 1931.
- Smith, C. T. *Historical Geography*, *Frontiers in Geographical Teaching*, ed., R. chorley and Haggett, London; 1965, pp. 118 — 143.
- Smith, G. A. *The Historical Geography of the Holy Land* N. Y., 1894.
- Wakiba, A. F. *The Agriculture of Egypt during the Arab Period.*, London, 1952, (Unpublished M. A. Thesis).
- , *An Outline of the Economic Geography of Egypt during the Middle Ages.*, Bull. soc. Geog. de l’Egypte, T. xxx III, 1960.
- , *Rice Culture in Egypt* “A study in Historical Geography” Bull. soc. Geog. de l’Egypte, 1967 (under publication).
- Whitelsey, D. “Sequent Occupance”, Ann. Assn. Amer. Geog, 19 (1929) pp. 162—5.
- Woodridge, S. and East, W. *The Spirit and Purpose of Geography*, London, 1951, pp. 80 — 102.
- Wright, J. *The History of Geography: A point of view*, Ann. Assn. Amer. Geog, 15, (1925) pp. 192 — 201.